المملكة العربية **

السعوديه والجامعة العربية

بقلم : عصام ضياء الدين السيد
الباحث بالدارة

إذا كانت الفكرة السائدة حول انشاء الجامعة العربية تقول بأنها خرجت لأول مرة من لندن حينما أعلن بها أنطونى ايدن وزير خارجية حكومة تشرشل اثناء الحرب الكبرى الثانية ، فانه يجب ألا يغيب عن بالنا أن الوحدة العربية كانت بحق هدفا تسعى الدول العربية لتحقيقه من أجل الوصول الى مطالبها الوطنية . وانه اذا كان الانجليز قد بادروا بطرح فكرة انشاء الجامعة العربية الا ان هذه الجامعة ما كان ولم يكن في وسعها ان تقوم ما لم يعمل العرب بأنفسهم على انشائها (١)

ثم ان هذه الدعوة حقيقة لم تكن اجتهاداً شخصيا من ايدن ولا وحيا هبط اليه ليجمع الدول العربية في اطار واحد ، فسياسة الاستعمار البريطاني — كما هو معلوم — كانت تقوم على الفرقة بين الاوطان عملا بمبدأ « فرق تسد » . وانما يعترف ايدن على حد تصريحه الصادر في ٢٩ مارس ١٩٤٠ بكون هذه رغبة عربية فقال :

« ان كثيرين من مفكري العرب يرغبون في أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة اكبر من النصيب الذي تتمتع به الان ، وهم يأملون منا المساندة في تحقيق هذه الوحدة ، لذلك لا يجوز لنا ان نهمل اي دعوة يوجهها الينا اصدقاؤنا العرب في هذا الصدد ... » . (٢)

اذن فالفكرة عربية في الاساس ، ولكن للدور الضالع للسياسة البريطانية في العالم العربي آنذاك مال بعض ساسة العرب لمساندة بريطانيا لهم في تحقيق هذا الامر . ففي أعقاب تصريح ثان لايدن في البرلمان البريطاني من ان الخطوة الاولى يجب ان يقوم بها العرب انفسهم ، قام مصطفى النحاس رئيس الوزراء المصري امام مجلس الشيوخ المصري ، وأعلن أن على الحكومات العربية التداول فيما بينها وأنه « يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من آمال ، على حده ، ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آراء مختلف الحكومات العربية ما استطاعت السبيل الى ذلك ، ثم تدعوهم جميعا الى مصر في اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية من جبهة متحدة بالفعل ، فإذا تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد في مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ اللازم من القرارات حتى تتحقق الإغراض التي تنشدها الأمة العربية » . (٣)

والحق يقال ان الملك عبد العزيز آل سعود راودته منذ البداية المخاوف فكان من رأيه أن اقتراح مستر ايدن بانشاء الجامعة العربية انما يثير الشك في نوايا الانجليز . وبينما أثمرت الاتصالات التي دارت بين القاهرة وبقية العواصم العربية على عقد مؤتمر في الاسكندرية فى الفترة بين ٢٥ سبتمبر و ٧ اكتوبر ١٩٤٤ ، وانتهى المؤتمر بعقد بروتوكول الاسكندرية الذي اعلنت فيه الدول العربية اتفاقها على التعاون والتضامن في نطاق منظمة رسمية تحمل اسم جامعة الدول العربية ، اذا بالملك عبد العزيز يقرر عدم توقيع بلاده على ميثاق الجامعة الذى تحدد له يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ . وكانت وزارة أحمد ماهر فى مصر قد اعقبت وزارة النحاس التي أقيلت فحاولت وزارة ماهر جاهدة اقناع الملك عبد العزيز بالعدول عن موقفه إلا أنه أصر على رأيه . وتقرر ايفاد عبد الرحمن عزام على رأس بعثة الحج المصرية كأمير للحج ، وكان يشغل وقتها منصب سفير بديوان وزارة الخارجية المصرية ، حتى يتسنى له مقابلة الملك عبد العزيز لمحاولة اقناعه بالموافقة على اشتراك بلاده فى ميثاق الجامعة العربية . وتم اللقاء وأعرب الملك عن مخاوفه ازاء نوايا الانجليز فكان رأيه « ان واحداً مثل انتونى ايدن لا يمكن أن يتطوع بالايحاء الى البلاد العربية بانشاء الجامعة إلا اذا كانت بريطانيا تجرى وراء تحقيق بعض المآرب الاستعمارية من انشائها » . فرد عليه عزام بقوله « قد يكون هذا صحيحا

يا طويل العمر .. ولكن المهم أن يتم انشاء هذه الجامعة وبعدها يمكن للعرب أن يجعلوا منها أداة تعمل فى خدمتهم لا فى خدمة بريطانيا » . ووافق الملك عبد العزيز أخيراً على اشتراك بلاده فى التوقيع على ميثاق الجامعة ولكنه اشترط لذلك تحقيق رغبة المملكة العربية السعودية في أن يكون عزام أمينا عاماً للجامعة حتى تكون الجامعة فى خدمة العرب ولا تسير في ركاب سياسة الانجليز .

وبالفعل تم التوقيع على ميثاق الجامعة في ٢٢ مارس ١٩٤٥ حيث تكونت الجامعة من العربية السعودية ومصر وسوريا والعراق وشرق الاردن ولبنان واليمن . واختير عزام اميناً عاما للجامعة بناء على رغبة الملك عبد العزيز .

ففى الحق كان عزام مؤهلا لأن تعقد اليه مقاليد رئاسة الجامعة لرصيده الوطنى والقومى فى الكفاح ضد الاستعمار . فضلا عن أنه كان دبلوماسيا موهوبا وثوريا سياسيا وبرلمانيا ممتازا من خلال تاريخ كفاحه .

وحقيقة كانت مخاوف الملك عبد العزيز فى محلها ، فسرعان ما قدمت الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج على ما أسمته « روح الميثاق » . فانكشفت بذلك نواياها فقد تصورت تلك الحكومة أن بوسعها الاعتماد على بعض اعوانها من السياسيين فى تسخير الجامعة العربية لتكون فى خدمتها حيث كان يقود هذا الاتجاه نورى السعيد وفاضل الجمالى وغيرهما . الا ان الاتجاه القومى العربى كان واقفا بالمرصاد للاتجاه المضاد الذى كان يعمل لحساب الانجليز فى الجامعة فتم الرد على مذكرة الاحتجاج البريطانية بيد عزام . (٤)

على اية حال سارت الجامعة فى طريقها القومى وظهرت لأول مرة بعد اعلان ميلادها على مسرح الاتصالات السياسية الدولية حينما كلفت عبد الرحمن عزام بالدفاع عن قضايا العرب وعلى رأسها قضية فلسطين أمام الرأى العام فى اوربا .

ولكن ثمة حقيقة تاريخية يجب ألا تغيب عن الأذهان وهى أن الموحى لهذه الفكرة فى الاساس كان الملك عبد العزيز الذي ظل مواليا إلى أن خرجت إلى حيز التنفيذ .

فالراصد للمقابلة التاريخية التى جمعت الملك عبد العزيز بالرئيس الأميركي روزفلت على ظهر الطراد « كونيرى » فى « البحيرات المرة » بقناة السويس قبل ظهر يوم الخميس ٢ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥) يلاحظ أن الملك عبد العزيز قد طرح فكرة ارسال وفد عربي الى كل من امريكا وبريطانيا لتنوير الرأى العام فيهما بقضية فلسطين . فرحب الرئيس روزفلت بالرأى واعتبر الفكرة جيدة للغاية لأنه سلم بأن كثيراً من الناس فى امريكا وانجلترا يجهلون ذلك . (٥)

وتبنت الجامعة الفكرة ، وقر قرارها على تفويض عزام بالذهاب الى لندن كى يوقف الرأى العام فيها وكذلك رجال الحكومة البريطانية فى اسرع وقت ممكن على حقيقة شعور الدول العربية بعد تكوين الجامعة لا سيما أن دولها أصبحت متضامنة متفهمة لكل المسائل التى تخص أى دولة منها مع رغبتها فى السلم والوفاق والتعاون الدولى على أن يكون حل الأمور عن طريق احترام الحقوق والمساواة . فأصبح على عزام مسئولية شرح مشاكل العرب كل على حده . فكانت مهمته لذلك شائكة فإنه بقدر ما سيتعرض حتما للهجوم من الصهيونيين فى العاصمة

البريطانية فإنه سيضع السياسة الاستعمارية البريطانية فى مأزق من جراء تفجيره لقضايا الاستقلال الوطنى ولوضعه النقاط على الحروف باعلان الموقف العربي الموحد ازاء فلسطين .

وكان من الطبيعى ، قبل أن يحل عزام بالعاصمة البريطانية ، أن يتشاور مع أولى الأمر في عدد من عواصم الدول العربية حول مسائل العرب المختلفة بغية الاستئناس بآرائهم وارشاداتهم للقيام بمهمته . فقصد أولا المملكة العربية السعودية فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٥ وبرفقته الشيخ حافظ وهبه ، ولدى وصوله الى جده تقابل مع بعض رجال الحكومة السعودية . كما قدر له مقابلة وزير امريكا المفوض المستر ادى وكان حديثه فى مسائل طرابلس (ليبيا) وسوريا ولبنان وفلسطين حيث أعرب المستر إدى عن عطف أمريكا على أمانى البلاد العربية . ثم قصد عزام بعد ذلك الرياض حيث تقابل مع الملك عبد العزيز مقابلات طويلة اليوم التالى من وصوله . وكان الحديث عن القضايا العربية حيث أبدى الملك عبد العزيز كل استعداد فيما يتعلق بمسألة فلسطين فلم يتوان فى الإعراب عن الدفاع عن حقوق العرب هناك بكل ما أوتى من قوة . وأن أقل ما تنتظره الامم العربية فى الحال من بريطانيا هو وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين . وكان من الطبيعى ألا يقتصر الأمر على فلسطين وانما دار الحديث على مسألة استقلال طرابلس وخطة الجامعة نحوها حيث قام عزام باطلاعه على ما تضمنته مذكرة الأمانة العامة ومذكرة الحكومة المصرية . ولما جاءت مسألة سوريا ولبنان أظهر الملك رغبته الشديدة في أن يسود الائتلاف والاتحاد بين أبنائهما متفقا فى ذلك مع قرار مجلس الجامعة بمطلب الجلاء عنها ، كما تمنى كل خير لمصر ووجوب حصولها على الاستقلال التام .

وتوجه عزام بعد ذلك الى كل من بغداد ودمشق وبيروت وقفل راجعا إلى مصر بعد أن إطمأن الى وحدة الكلمة العربية ثم قام برحلته فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ الى لندن والتى استمرت حتى ٢٦ اكتوبر ١٩٤٥ . واجتمع اليه وزراء العرب المفوضين سوريا ولبنان والعراق والسفير المصرى والقائم بأعمال المفوضية السعودية فعرض عليهم نتائج مباحثاته فى عواصم الدول العربية وما تم الاتفاق عليه من التشاور معهم والاستعانة بهم فى مهمته . فتمكن عزام من شرح جميع المشاكل العربية شرحا وافيا حتى يزيل اللبس وسوء الظن لرجال الصحافة ولكثير من أعضاء مجلس النواب واللوردات ورجال الأعمال والمهتمين بمسائل الشرق ، كذلك شملت مقابلاته بعض وكلاء وكبار وزارة الخارجية وكبار رجال وزارتى المستعمرات والاستعلامات . هذا فضلا عن مقابلاته للمستر اتلى رئيس الوزارة البريطانية والمستر بيفن وزير الخارجية والمستر هول وزير المستعمرات . (٦) كما انتهز الفرصة للاتصال بوزراء خارجية الدول الكبرى . (٧)

وفي المؤتمر الصحفى الذى انعقد في ٤ اكتوبر ١٩٤٥ أجاب عزام على الأسئلة التى وجهت اليه عن الجامعة ودورها من أجل فلسطين ، وعما يتوقعه من حكومة العمال للجامعة العربية ، وعن موقف الجامعة من المعاهدة المصرية البريطانية بل وموقفها من استقلال الهند . وفى خضم هذه الأسئلة وجه اليه سؤال ماكر أجاب عليه بأمانة فقيل له هل كل دول الجامعة تتمتع بحكومات ديمقراطية ؟ فرد عزام قائلا بأن « معظم هذه الدول لديها حكومات

ديمقراطية دستورية مستقلة . وأن تلك التى ليس لديها حكومات برلمانية هما العربية السعودية واليمن . وعلى الرغم من أن العربية السعودية ليس لديها حكومة برلمانية الا أن لديها نظاما يتسم بديمقراطية اكثر من أى دولة اخرى نعرفها لأن ملك العربية السعودية من الممكن أن يقترب منه بالذات أى واحد من رعاياه وفى اى وقت ، فهو يستمع ويصغى للمطالب وينفذ ارادة شعبه لأنه على صلة وثيقة بشعبه فلديه مجالس من رؤساء وقادة القبائل . وكما أعلم شخصيا بأنه ليس هناك أى مكان تتخذ فيه القرارات بعد مشورة واسعة كما فى العربية السعودية » .(٨)

وعلق عزام على انطباعاته حول جهوده في بريطانيا قائلا أمام الجامعة العربية « ففيما يتعلق بالدوائر الرسمية فى لندن يكاد الانسان يلمس أنها تعطف على الدول العربية انما يتفاوت عطفها على المسألة الصهيونية » . أما مقابلاته لبعض النواب البريطانيين فقال انها « تركت لديه شعورا غير طيب اذ فيهم المتعصب تعصبا أعمى للفكرة الصهيونية ويعتقدون انهم على حق حين يدافعون عن مذهبهم . على أنه يمكن تغيير شعور هذا الفريق بالعمل على اقناعهم بأن العرب هم الضعفاء وأن مجال الاصلاح والتقدم فسيح فى بلادهم والطبقات الفقيرة لديهم تكون الاغلبية. أما اليهود فأقوياء بالعلم والمال والوسائل » . ويرى عزام لتحقيق ذلك وجوب ممارسة الدعاية ودعوة بعض اعضاء مجلس العموم البريطاني بصفة عامة وبعض زعماء حزب العمال بصفة خاصة لزيارة بلاد الشرق الاوسط ، وأن من المستحسن ان تكون الدعوة صادرة عن جامعة الدول العربية .(٩)

وحينما فرغ عزام من تقديم تقريره عن رحلته الى الجامعة جرت مناقشة من اعضاء الوفود العربية يهمنا منها فى هذا الصدد ما جرى على لسان وفد المملكة العربية السعودية الذي كان يترأسه الشيخ يوسف ياسين ، وزير الدولة ونائب وزير الخارجية السعودية ، وعضو مستشار المفوضية السعودية بمصر خير الدين الزركلى .

فعقب الشيخ يوسف ياسين بقوله :

« الواقع أن التقرير الذى قدمه عزام بك تقرير قيم وان مجهوده كان عظيما وموفقا . كما أن هذه الرحلة لم يكن مقرراً أن تؤدى الى نتيجة معينة ولم يكن المقصود منها القيام بالمفاوضة ، انما كان المطلوب بيان وجهات نظر الامم العربية فى المسائل المتعلقة بها . ونحمد الله سبحانه وتعالى على نجاح هذه الرحلة وتوفيقها حيث ظهرت حقائق كثيرة لمن يجهلها . فهذه الناحية من التقرير هى الناحية التى كانت ترجى للبلاد العربية جميعا . وبناء عليه أرى أن تكون الظروف مواتية لرحلة أخرى إلى امريكا يقوم بها عزام بك أو أى رجل من رجال الجامعة مؤيداً منها . »

أما فيما يتعلق بموضوع الدعاية فإنه يرى تشكيل لجنة خاصة لكي يستوفى بحثها بشكل مجد مفيد حتى يمكن الوصول الى النتيجة المطلوبة لا سيما وأن مكاتب الدعاية الموجودة بالفعل هى مكاتب مستقلة المطلوب الاستفادة منها بقدر الإمكان ، وأن الأفضل لهذه المكاتب أن تكون مرتبطة بجهة معينة وأفضل أن تكون لها رابطة جامعة سواء فى مصر أو فى لندن أو فى واشنطن ، وأن اختيار الأعضاء يجب ألا يكون قاصراً على الفلسطينيين وحدهم بل من العرب بصفة عامة . وأكد الشيخ فى النهاية أن قضية فلسطين انما هى قضية الامة العربية

بأجمعها (١٠) .

وحرى بنا الإشارة الى تعقيب عزام على مناقشات الأعضاء المثيرة فقد لفت انتباههم الى أن الاهتمام بقضية فلسطين يجب ألا يغيب معها الإهتمام ببقية القضايا العربية حتى لا تذهب البلاد العربية الاخرى ضحية بجانب فلسطين التى لا أمل لها الا بقوة البلاد العربية المستقلة . حيث أن ما بذلته الجامعة ، كجامعة عربية متحدة منذ انشائها ، من جهود لمصلحة قضية فلسطين لم تبذل لمصلحة استقلال أية دولة عربية اخرى . ثم ان ملوك ورؤساء الدول العربية لم يقصروا فى الاعلان عن مرافعتهم لقضية فلسطين . فيعلن الملك عبد العزيز بصراحة لممثلى الكونجرس « انه يوم سعيد ذلك الذى أقتل فيه أنا وأولادى فى سبيل تحرير فلسطين » .

على أية حال طالب عزام المجتمعين بالعمل على رفع الجامعة العربية الى مستوى هيئة دولية تتناول المسائل الدولية على اسس واسعة وفى افق شامل لا كهيئة سياسية موضعية ، فعليها أن تتعاون مع مجلس الأمن الدولى وتدخل في نظام الامم المتحدة ويكون لها كيان كجامعة دولية ، وحينما يتحقق ذلك فإن مشاكل العرب تكون قابلة للحل .

وفى النهاية طالب بوضع تنظيم دعاية عربية ، على ان تكون هذه الدعاية تابعة للجامعة العربية وتكون قسما من اقسامها يعرف اغراض الدول العربية ومشاكلها وأوضاع كل منها ويغذى الدعاية للبلاد العربية فى هذه النواحى وغيرها . (١١)

وعقد مجلس الجامعة الاجتماع الثالث فى ٢ ذى الحجة ١٣٦٤ (نوفمبر ١٩٤٥) وبحث فى مسألة تنظيم أعمال النشر والصحافة والاذاعة فى الجامعة فكانت وجهة نظر المملكة العربية السعودية ، والتى عبر عنها خير الدين الزركلى ، « بأن للمسألة ناحيتين الاولى ـ الدعاية لفلسطين والثانية الدعاية للجامعة ، ففيما يتعلق بالناحية الاولى قد أنشىء مكتبان للدعاية لفلسطين بقرار من الجامعة ، ولدول الجامعة أن تساعد القائمين بشئون المكتبين وكما لاحظ عزام .... أن القائمين بهذين المكتبين من الفلسطينيين ويعرفون الشئون الفلسطينية حق المعرفة ويصعب عليهم معرفة غيرها مما يخص البلاد العربية ، ومع ذلك يمكن للحكومات التى تعاونهم أن تحدد لهم المسائل التى لا يجوز لهم ان يتعدوها حتى لا يقعوا فى الخطأ . أما الدعاية للجامعة فأخشى أن يكون هذا اللفظ — لفظ الدعاية — كريها لان وزارات الدعاية لم تظهر إلا فى خلال هذه الحرب ... لذلك لا ارى ضرورة لإنشاء مكتب دعاية للجامعة . لان هذه الدعاية يمكننا أن نقوم بها عن طريق الصحافة والاذاعة والنشر لا عن طريق الرحلات . ولدينا اكبر مثل على نجاح الرحلات ما قام به عزام بك فى رحلته الأخيرة . وأرى ضرورة تقوية مكتب النشر والصحافة فهذا أحسن دعاية ، دون ذكر لفظ دعاية ، بأن نزيد الاعتماد المدرج له فى الميزانية على أن تبقى المكاتب المخصصة للدعاية لفلسطين كما هي » . (١٢)

وأكد الشيخ يوسف ياسين من جهة اخرى على وجوب قيام العلاقة والارتباط بين المكاتب القائمة بالدعاية لفلسطين فى لندن وواشنطن ، والجامعة العربية حتى تجد القوة والتأييد . (١٣)

بيان

عن اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم

تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية ممثلين بأشخاصهم أو بوكلائهم فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى زهراء أنشاص فى يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور . وقد حضر حضرة صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحيى ملك اليمن .

وبعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشؤون العربية ، وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم ، وأن عليها بذل كل ما تستطيع فى سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها .

ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها ، فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هى قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية يحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك نقضا صريحا للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولهم عظيم الأمل أن لا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة ، والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصا منهم على دوام هذه الصداقة ، وتفاديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضى إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام .

أما فيما رأوا زيادة على ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ليتخذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين .

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شؤون العرب ومصالحهم أن تهيىء الأسباب لهذا الاستقلال ، وأن تتعهده فى بادئ الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية .

ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها وجلاء القوات البريطانية عنها أمر لابد منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم، وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويسندونها بكل مافى استطاعتهم. وقد سرهم ما سارعت إليه الحكومة البريطانية فى تصريحها الذى ألقاه المستر أتلى رئيس وزارتها فى مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذى أعلن فيه عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية ، مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم، والذى يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهدا جديدا فى علاقاتها مع مصر الشقيقة، تلك العلاقات التى يرجون أن تقام على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين،وهم يعلمون أن فى هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام فى هذه الناحية من العالم .

ثم تناولوا شؤون البلاد العربية الأخرى ، وقد عرض عليهم كثير من شكواها ، فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعى لحريتها ، وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم فى جامعة الدول العربية .

وأخيرا يغتنمون فرصة اجتماعهم هذه ليبعثوا كإخوة متضامنين متحدين. إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ، ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد .

ثم قرر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملكى التوجه بوافر الشكر إلى أخيهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق على أن هيأ لهم هذا الاجتماع التاريخى الذى يرجون للعرب من ورائه خيرا لبلادهم وإعزازا لجامعتهم .

زهراء إنشاص فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ (٢٩ مايو سنة ١٩٤٦)

أيها العرب

أقدم إليكم، مع مزيد الغبطة، هذا البيان الذى أذاعته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عقب انفضاض اجتماع أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم فى زهراء إنشاص. وليس لى ما أقوله إلا الشكر لله تعالى ثم لجلالة الملك فاروق الذى فكر فى هذا الاجتماع التاريخى ودعا إليه، وإن قضية العرب قد خطت بهذا الاجتماع وهذا البيان خطوة عظيمة أخرى فى سبيل الحق والحرية. وسيسير العرب دائما إلى الأمام فى طريق تحقيق أهدافهم الإنسانية السامية بعون الله ومشيئته.

حرر فى ٦ رجب سنة ١٣٦٥ (٦ يونيه سنة ١٩٤٦)

الأمين العام
عبد الرحمن عزام

والحق يقال لقد تعددت آراء المجلس بشأن الدعاية . فرأى يقول بأن تتولى كل دولة بنفسها الدعاية لقضاياها . ورأى آخر يقول بأن تتولى الجامعة فى بعض الظروف الدعاية لجميع الدول . الا أن الاجتماع كان على وجوب الدعاية لفلسطين والاسراع بها . ورؤى فى اثناء المناقشة أن تنشأ مؤسسة تابعة للجامعة باسم الدعاية أو الاذاعة أو النشر مع رصد المبالغ اللازمة لها . وقد رأى عزام أن تشكل لجنة من بعض أعضاء المجلس لبحث هذا الموضوع من جميع نواحيه وتقديم تقرير عنه . (١٤)

وبالفعل خرج المجتمعون بالموافقة العامة على تشكيل لجنة تمثل فيها جميع الدول وذلك : أولا لوضع نظام فى الامانة العامة لشأن ادارة الصحافة والنشر والاذاعة . ثانيا : تنسيق العمل لمكتبى انجلترا وامريكا العربيين تحت اشراف الجامعة . (١٥)

وعقدت اللجنة الفرعية جلستها فى ٨ نوفمبر ١٩٤٥ وقررت ما يلي :

١ — تكليف بعض الأعضاء بالاتصال بهيئات الأحزاب والجماعات الفلسطينية لتتفق هذه الهيئات على طريقة لتنظيم الدعاية لفلسطين وادارة مكتبيها فى لندن وواشنطن وعلاقة هذه الدعاية بجامعة الدول العربية وأمانتها العامة . وأوكل صرف المبالغ التى وضعتها الدول العربية بواسطة وزرائها المفوضين في لندن وواشنطن الى أن يوضع النظام النهائى لهذين المكتبين .

٢ — ان يضاف الى الموازنة مبلغ ٣٠ ألف جنيه سنويا يوزع على باب الصحافة والنشر والدعاية فيصبح مجموعة الموازنة ١٥٠ الف جنيه . (١٦)

وأيد الشيخ يوسف ياسين اقتراح حميد فرنجيه . رئيس الوفد اللبناني لدى الجامعة ، من ضرورة المشاورة مع الهيئات والجماعات الفلسطينية وبالذات فى مسألة مقاطعة الواردات القادمة من فلسطين التى يكون اليهود وراءها . (١٧)

وقرر المجلس اختيار لجنة للنظر فى المقترحات الخاصة بالسياسة العامة للجامعة بالنسبة لفلسطين . (١٨) ووضعت تلك اللجنة مذكرتها ورأى الأعضاء انها غير كافية . فكلف كل من الشيخ يوسف ياسين (السعودية) ومكرم عبيد (مصر) وأبو شهلا (لبنان) والأمين العام للجامعة لوضع صيغة جديدة للمذكرة على ضوء ما طرح من آراء واقتراحات . وقدمت المذكرة من جديد وفيها تلفت الحكومات العربية نظر الحكومتين الامريكية والبريطانية من خطورة استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين. وتطلب الحكومات العربية أن لا تتخذ الحكومتان الأميركية والبريطانية أى قرار يتعلق بالهجرة لفلسطين أو يمس أى تسوية لقضية فلسطين بدون مشاورة الدول العربية وموافقتها . وقرر المجلس الموافقة على المذكرة وتكليف الأمين العام ابلاغها الى كل من الحكومتين الامريكية والانجليزية كما طلب من حكومات دول الجامعة ابلاغها بالطرق الدبلوماسية الى الحكومتين المذكورين . (١٩)

ولا جدال فى ان الصهيونية السياسية ومن ورائها من ضللت من يهود العالم قد استغلت العاطفة المتأججة فى امريكا نحو العطف على ما أسموه بالقضية الانسانية لليهود فقاوموا بشدة كي لا تبدد تلك العاطفة ، وكى لا تنصرف اليهودية العالمية الى التفكير فى أمر آخر غير الدولة

اليهودية فى فلسطين إذا ما طال الزمن عليها . لا سيما وانهم قد ضاقوا ذرعا ببطء بريطانيا نفسها بالرغم من أنها كانت من أشد الدول رعاية لهم بل هى التي اوجدتهم من العدم ووضعت نفسها في خدمتهم ربع قرن فانقلبوا عليها وعقروها ولجأوا الى وسائل من العنف والقسوة لا نظير لها من نسف وتدمير واغتيال .

كل ذلك والجامعة العربية لا تزال فى مرحلة النشوء فاصطدمت بوسائل الصهيونية العالمية في الوقت الذي لا تملك فيه الجامعة إلا وسائل محدودة ثم أن احوال الدول العربية زادت الصهيونية غلوا فاعتقدوا بعجز العرب عن مداومة الكفاح بسبب ما كان عليه أهل فلسطين من تفرق وضعف وانصراف الى الحياة اليومية ، وما كان فيه جيرانهم فى سوريا ولبنان من مصائب وشرور مع فرنسا ، ومما انتاب العراق من ارتباك بسبب حربه مع الانجليز ، وما اصيبت به مصر من تصدع فى الصفوف واختلاف فى الآراء والنزعات .

فلم تملك الجامعة العربية حقيقة غير كسب معارك للدعاية الهادئة المنتظمة وبالكلمة الطيبة التى تلقى فى اوانها وظرفها فيتناقلها البرق وتنفذ رغم حصار خصوم الجامعة الى صحف العالم ومحطات اذاعته ونواديه ومجتمعاته . وساعد وجود خمس دول من دول الجامعة ممثلة فى كثير من المؤسسات الدولية للأمم المتحدة على تمزيق الحجاب بين العرب ونشر الدعوة التى وجدت الجامعة من اجلها ولم تتدخر وسعا فى تعميقها .

واضطرت بريطانيا للاستعانة بالجامعة العربية فى عام ١٩٤٦ حينما دعت لعقد مؤتمر لحل المسألة الفلسطينية ، وحضره ممثلو الجامعة والأمين العام كما اشترك فيه ممثلو فلسطين . وعلى الرغم من أن تلك المفاوضات لم تنته الى حل عادل الا ان الصهيونية لم ترض على بريطانيا لاشراك الجامعة ، فاشتد لذلك الارهاب الصهيوني . وللأسف لم تفعل بريطانيا ما يجب عليها للقضاء على هذا الارهاب تمهيداً لتسوية المسألة الفلسطينية ، بل اتجهت نحو هيئة الامم المتحدة للتخلص من مسئوليتها والوصول الى مهادنة اليهودية العالمية ومصانعتها من غير ان تقع فى خصومة مباشرة عنيفة مع جامعة الدول العربية . فانتقلت بذلك المسألة الفلسطينية من الصراع الثلاثي بين العرب والبريطانيين واليهود إلى الميدان العالمى فى هيئة الامم المتحدة ودخلت فى دور جديد .(٢٠)

والراصد لموقف العربية السعودية فى كل الاحوال فانه يلاحظ أنها طلبت من بقية الدول الاعضاء التدبر فى كل أمر بدقة بحيث تكون قرارات المجلس مبنية على الحكمة والواقع حتى يكون القرار نافذا . وأكدت الحكومة العربية السعودية بأنها لن تتقاعس عن العمل الذى يقرره مجلس الجامعة . وطلبت من الجامعة ضرورة جمع أهل فلسطين على رأى واحد وكلمة واحدة محذرة بعدم جواز اعطاء أهل فلسطين وعوداً خلابه يقعوا بعدها فى المهالك ثم يجدوا الجامعة وقد تخلت عنهم .(٢١)

وبالفعل خرجت الجامعة باتفاق على وجوب توحيد كلمة عرب فلسطين عن طريق ايجاد « هيئة فلسطينية عربية عليا » تعتمدها الجامعة العربية ، وتدبير المال اللازم للقضية الفلسطينية عن طريق انشاء صندوقين احدهما خاص بانقاذ الاراضي ويدعى « صندوق انقاذ اراضى

فلسطين » والثاني « صندوق مساعدة عرب فلسطين » . (٢٢)

وطالب الشيخ يوسف ياسين من الأعضاء بوجوب الاسراع فى تنفيذ هذا الأمر . (٢٣) لا سيا وقد اقترحت الحكومة العراقية اثناء اجتماع الملك عبد العزيز والملك فاروق ان تصرف الدول العربية مليونا من الجنيهات لانقاذ أراضى فلسطين . (٢٤)

كما طالب الشيخ يوسف ياسين بان تضع الحكومات العربية تشريعا يقضى بأن الحركة الصهيونية حركة عدائية ضد هذه الحكومات ثم ادانه كل من يقدم للصهيونية المال أو أية معونة باعتباره مجرما . وكان الشيخ يقصد بذلك اليهود المتجنسين بجنسية الدولة العربية الموجودين فيا لكونهم يقدمون ٢٥٪ من اموالهم بانتظام للحركة الصهيونية . (٢٥)

تلك مواقف المملكة العربية السعودية فى أقل من عامين من قيام الجامعة العربية تخرج منها بحرص الملك عبد العزيز ، منذ البداية ، على ضرورة أن تكون الجامعة بمنأى عن المؤثرات الأجنبية لأية دولة كبرى فحينما توجس خيفة من دور بريطانيا فى الدعوة لتأسيس الجامعة فانه فضل التريث عن الاقدام على توقيع بلاده على الميثاق ، وحينما وثق فى تحقيق رغبته فى ان تكون امانة الجامعة فى أيد أمينة باختيار عبد الرحمن عزام امينا لها لم يتوان فى المشاركة بدور حيوى للمملكة على الساحة العربية ، تماما كما هو الحال قبل قيام الجامعة العربية فيذكر له التاريخ أنه أول من دعا لطرح قضايا العرب ، وعلى الأخص فلسطين ، أمام الرأى العام الأوربى والأمريكى . وحققت الجامعة العربية هذه الفكرة حينما أوفدت عزام ليسمع العالم قضايا العرب فكان ذلك أول عمل من نوعه على الصعيد العربي .

ففى الحق لم ترددالعربية السعودية في مساندة قضايا العرب من أجل الاستقلال فأعلنت تأييدها لقضايا الاستقلال الوطنى لكل من مصر وليبيا وسوريا ولبنان فضلا عن فلسطين التى نالت النصيب الأوفر فى الجهود وذلك يتضح بجلاء من خلال استقراء محاضر اجتماعات الجامعة العربية التى ان دلت على شيء انما تدل على الموقف الثابت للمملكة فى تأييد ومساندة قضايا العرب من أجل الاستقلال فى المرحلة الأولى لقيام جامعة الدول العربية .

عصام ضياء الدين السيد

المصادر والهوامش

(١) جميل عارف : صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية الجزء الأول ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٦١ .

(٣) نفس المرجع : ص ٢٦٢ .

(٤) نفس المرجع : ص ٢٦٣ — ٢٦٦ .

(٥) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز. الجزء الثالث ص ١١٦٦

(٦) وثائق الجامعة العربية : تقرير عبد الرحمن عزام (ملحق رقم ١) لمضبطة الجلسة الثانية لاجتماعات الجامعة العربية فى ٣٠ ذو القعدة ١٣٦٤ (٥ نوفمبر ١٩٤٥) .

(٧) جميل عارف : المرجع السابق ص ٢٧٩ .

(٨) وثائق الجامعة العربية : ملحق لمضبطة الجلسة الثانية بعنوان :
Questions answered by Abderrahman Bey Azzam at Press Conference 4.10.1945.

(٩) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثانية لاجتماعات الجامعة العربية فى ٥ نوفمبر ١٩٤٥ كلمة الأمين العام ص ٣ — ٤ .

(١٠) نفس المصدر : كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ١٠ .

(١١) نفس المصدر : كلمة الأمين العام ص ١٣ — ١٤ .

(١٢) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة لاجتماعات الجامعة العربية فى ٧ نوفمبر ١٩٤٥ كلمة خير الدين الزركلى ص ٥ .

(١٣) نفس المصدر : كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ١٠ .

(١٤) نفس المصدر : كلمة رئيس الجلسة جميل مردم وزير سوريا المفوض في مصر ص ٨ .

(١٥) نفس المصدر : ص ١٠ . والجدير بالذكر ان المكتب العربي في لندن شغل بال عزام ووزراء العرب المفوضين فلقد كان يضم هذا المكتب خمسة موظفين من الفلسطينيين لا يطلقون على أنفسهم فلسطينيين بل عربا لأنهم يفخرون بالتحدث باسم العرب ، وبناء على ذلك سمى المكتب العربي . ونظراً لهوية الأعضاء الفلسطينيين فإنهم تعرضوا لهجوم اليهود عليهم الذين قالوا ان اعضاء المكتب فلسطينيون لا صفة لهم بالجامعة . فشكى اعضاء المكتب لعزام من عدم وصاية الجامعة العربية على مكتبهم ، ولذلك فضل عزام أن يظهر فى الحال شبه تبنى للمكتب واعتباره مكتبا عربيا له اتصال بالجامعة حتى يكون موضع احترام وتقدير . وأباح لاعضاء المكتب التحدث فقط عن فلسطين دون ما الخوض فى المسائل العربية الاخرى لعدم المامهم الكافى بها .

(١٦) وثائق الجامعة العربية : مضبطة الجلسة الرابعة لاجتماعات الجامعة العربية في ٨ نوفمبر ١٩٤٥ ص ١١

(١٧) نفس المصدر ص ١١ — ١٢ .

(١٨) نفس المصدر ص ١١ ، وقد تشكلت اللجنة على النحو التالي :
١ — حمدى الباجه جى رئيس وزراء العراق ووزير الخارجية .
٢ — الشيخ يوسف ياسين وزير دولة ونائب وزير الخارجية السعودية .
٣ — حسن بن على عضو فى الوفد اليمنى لدى الجامعة .

٤ — محمد الشريقى وزير الخارجية الاردنية .
٥ — حبيب أبو شهلا عضو فى الوفد اللبنانى لدى الجامعة .
٦ — عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة .

(١٩) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الخامسة لاجتماعات الجامعة العربية فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٥ .

(٢٠) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة (دور الانعقاد العادى السابع) ملحق رقم ٣ فى ٦ اكتوبر ١٩٤٧ .

(٢١) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة فى ١٠ يونيو، ١٩٤٦ بفندق بلودان الكبير (اجتماع غير عادى) كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ٥ .

(٢٢) نفس المصدر : ملحق رقم (٣) تقرير اللجنة الداخلية في ١٠ يونيو ١٩٤٦ المرفق مع مضبطة الجلسة الثالثة لاجتماعات الجامعة العربية .

(٢٣) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الخامسة لاجتماعات الجامعة العربية فى ١١ يونيو ١٩٤٦ تعقيب الشيخ يوسف ياسين ص ٤ .

(٢٤) نفس المصدر : كلمة حمدى الباجه جى ص ٧.

(٢٥) نفس المصدر : مضبطة الجلسة السادسة لدور الانعقاد غير العادى لمجلس الجامعة فى بلودان ١٢ يونيو ١٩٤٦ .